الحرب النفسية
في وسائل الاتصال الجماهيري

تمهيد:

حدد المتخصصون في علمي الاعلام والاتصال اساليب عديدة من اجل التاثير في المتلقي عبر وسائل مختلفة كان وما يزال للتطور التقني لهذه الوسائل تاثيره الكبير في كيفية عملها وعبر فنون مختلفة ومضامين تهم الجمهور وفي مجالات الحياة كافة سياسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وفي اوقات السلم والحرب واثناء حدوث الازمات المشكلات محليا واقليميا ودوليا ، من اجل التاثير بالمتلقي ان كان قارئا او مستمعا او مشاهدا. وبذلك فان لاساليب الاتصال والتي تتمثل بالاعلام والحرب النفسية (لدعاية) والعلاقات العامة والاعلان ووضع التعليم ايضا ضمن هذه الاساليب الاتصالية ان كان مباشرا او غير مباشر اي عبر وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري بشكل عام،لها وقعها الفعال في الحصول على نتائج تهم القائم بالاتصال، وعبر وسائل الاعلام والاتصال كافة اذ يتم اعتماد هذه الاساليب من اجل التاثير بالجمهور في ضوء عرض او نشر مضامين مخطط لها مسبقا لتحقيق اهداف القائم بالاتصال في الاقناع والتاثير ومن ثم احداث التغيير في الاتجاهات والمواقف والسلوكيات.

وفي ضوء التقدم المضطرد الحاصل في وسائل الاتصال عموما فقد كان لذلك اثره الواضح والمستمر في طبيعة التعامل بين الدول على اختلاف سياساتها ومعتقداتها ، واخذ الاعتماد على وسائل الاتصال تلك وبشكل عام ووسائل الاعلام بشكل خاص وفق خطط نفسية مدروسة يعد تعبيرا عن قوة الدولة العسكرية والسياسية والاقتصادية .وللتوضيح بشكل يقرب التفسير العلمي اكثرلمفهوم الحرب النفسية وخاصة لطلاب الصفوف الرابعة من مرحلة دراسة البكالوريوس يمكنني ان ابين ان التعريف الشامل للحرب النفسية وفق فهم دقيق لمضامينها واساليبها المختلفة والتي سنوضحها بالتفصيل لاحقا، يعتمد في مدى التركيز على ما يهم القائم بالاتصال والذي يمثل وسيلة اعلامية او مؤسسة وفي الوقت نفسه هل تعبر هذه الوسيلة او المؤسسة ،عن راي الدولة الرسمي "الحكومي" او غير الحكومي في حالة توافر قدر من حرية التعبير وحرية الفكر والتي تساعد على وجود وتنامي وسائل اعلام متعددة يملكها افراد او احزاب او منظمات اونقابات والتي تساعد على تعددوجهات النظر وامكانية التعبير عن الاراء والافكار والحاجيات والطموحات المختلفة والمتباينة، وكل ما يؤدي الى توافر اعلام مستقل عن الاعلام الحكومي الموجه.

الاشارات التأريخية للحرب النفسية:

شهدت الحضارات القديمة على وجه العموم حربا نفسية في كل مراحلها ،وان لم تكم معروفة بهذا الاسم الا ان الانسان قديما مارسها بشكل عفوي تلقائي في منافساته ومصادماته للتعبير عن مواقفه ورغباته وفرض ارائه وسطوته ،واستعملها رجال الحكم والحرب والدين ضد اعدائهم ومناوئيهم في الداخل والخارج ،اذ عرف هولاء القادة والملوك والامراء سر "ما يقولون ويفعلون " للوصول الى اهدافهم في فرض هيبتهم وسيطرتهم .

ففي العراق القديم:

يمكن ان نذكر ان تاريخ الحرب النفسية ارتبط بوجود الكيانات السياسية والصراع الناتج بينها كون حضارات العراق كانت من انضج الحضارات في العالم القديم وهو ما ابرزته الاثار والشواهد ..التي فسرها العلماء والتي بينت قوة الملوك وامكانياتهم ودقة الاستراتيجيه العسكريه وتنوع الاختراعات والاداوات القتاليه مع تطور اساليب ذلك القتال لاخافة العدو وتهيئته لعدم المواجهة اذا ما فكر بذلك ، فقد اعتمد الاشوريون (اسلوب الصدمه المفاجئه)عند استعمالهم للعربات الحربيه بحيث دفعوا الاعداء الى التحصن بمدن وقلاع ذات اسوار منيعه ولم تتم المواجهه بشكل مكشوف مما دفع بالاشـــوريين الى اســتعمال ادوات الهدم بحيث اعتمدوا (المدك) في عمليه التحطيم وهو ماتوضحه الرسوم الاشوريه .

وبذلك يتضح ان اعتماد هذه الاساليب والادوات وتضخيم نتائج استعمالها لما تحدثه من دمار وقتل وايضا زرع الخوف والرهبة والرعب في الخصم،يعد حربا نفسية لها تاثيرها في تجنب الحرب او اندلاعها وفق الامكانيات والقدرات المتوافرة .

ولابد من التوضـــيح ان الحرب النفســيه في العراق القديم كانت اداة مســانده للقتال العســكري ويرى الباحثون انها ظلت بعيده عن اهتمام بعض القادة في التعامل بين دويلات المـدن او الامبراطوريـات انـذاك وذلـك لعـدم المعرفـه بظروف واراء ومشكلات الرائ العام الخاص بالخصم من حيث تغييره لكسب صداقته او احتوائه بل كان التعامل بكيفيه انهاء العدو والتخلص منه.وفي حضـــارة وادي الرافدين التي عرفت الكتابه لاول مره في تاريخ البشريه تبين الرسوم والنصوص المتوافرة والتي تعود الى ماقبل ٥٠٠٠ عام بوجود الواح باللغه الســومريه توضــح اعتماد قاده المدن الســومرية على تنظيم القصــائد ذات المضــامين النفســيه ضــد العدو وهو ماعرفته دويلات العراق وامبراطورياته حتى شـهدت تطورا في الامبراطويةالاكدية وسـلالة اور الثالثة والدولة البابلية والا شورية وبرزت فكرة الدولة الواحدة وجمع شمل المدن وهو ماحصـل في عصـر سـرجون الاكدي الذي طور نظام الامبراطورية السـياسـي وكان المواطنون يمارسـون نوعا من المشـاركة السـياسـية في الحكم في ضـوء دائره الشعب التي اسموها

(اون كين) ومجلس شبيبة المدينه واسمها (شيوت الم) بحيث انتقل العدو مابين المدن والدويلات الى خارج الدولة وفكر الامبراطور الاكدي ومن جاء من بعده بان الامتداد الشاسع بين الخليج العربي والبحر المتوسط يتطلب تخطيطا ستراتيجياً دقيقاً لضمان امن العراق وسلامته انذاك.

وابرز الاســلحة التي كانت مســتخدمة في الصــراع بين المدن قبل ان تصــبح امبراطورية واحدة هو (الاعتماد على بناء الاسوار) وكانت مدينة الوركاء من المدن القديمه التي احاطها الملوك بســور طويل والذي اســس لبنائه (الملك كلكامش)٢٧٠٠ق.م طوله ٩ كم في الصــراع الذي احتدم بين كيش واوروك في العصــر السومري القديم اذ ارسل ملك كيش واسمه (اكا)انذاراً الـــــــــى ملك اوروك وهـــــــــــو (كلكامش) كما ذكرناه انفا يطلب منه الأستسلام ودفع الجزيه وقدعرض كلكامش الانذار على مجلس كبار السن في المدينه فوافقوا على الاستسلام

لكن كلكامش عرض الانذار ايضـاعلى مجلس الشـباب القادرين على حمل السـلاح فرفض المجلس الانذار فهاجم اكا اوروك اما كلكامش فلم يحارب بل ارسـل رسـالة الى اكا ثم تسلق السور ومعه جيشـه بتخطيط ذكي للتأثير في معنويات جيش العدو ثم انتقل الى مرحله اخرى وهي مدح قائد العدو اكا بقصيده نذكر منها:

يااكا يا ناظري وانت الذي اعطيتيني الهواء ومنحتني الحياة وانت الذي اخذت الدخيل الى حضنك.....الخ فخاطب اكا كلكامش بالمثل وسحب جيشه.

وهنا تبرز دقه وبراعه **كلكامش** لدفع الضرر عن شعبه بسلوك نفسي مؤثر دفع العدو الى الانسحاب .. ولابد من الذكر ان اكا ارسل بالمقابل قصيدة مدح الى كلكامش نذكر منهاالاتي:

كلكامش انت عنيت بالوركاء انت الملك البطل والفارس والامير ... الخ وهو ما ادى الى تلافي **نشـــوب الصـــدام والحرب وويلاتها بين الطرفين** بعد ان وجد كلكامش ضـرورة اتخاذ ذلك الفعل حقنا للدماء وحفاظا على سـلامة دولته من تخريب الحرب ونتائجها التدميرية .

اشكال الحرب النفسية في العراق القديم :-

وعلى وفق ما اوضحنا انفا فقد وضع المتخصصون اشكالا للحرب النفسية اعتمدت في العراق قديما وهي:

١-الحرب النفسيه الاستراتيجيه .

٢-الحرب التكتيكيه .

٣-تدوين التاريخ في العمل الدعائي .

1. الحرب النفسـيه الاسـتراتيجه: وهي المعالجه الشـامله لتأثيرات الحرب النفسـيه وافهام العدو ان لامجال للمقاومه المنظمه وكذلك دعوة العدو الى الاسـتسـلام والرضـوخ وهو ما مارسـه العراقيون القدماء ضـد اعدائهم ويمكن تبيان اشـكال الحرب الاستراتيجيه:

أ- الاسـتعراضـات العسـكريه : وهدفها افهام العدو بقوة الجيش وضـخامة عدده وعدته والاته اذ استعرض كلكامش جيشـه قبل توجهه لحرب الاعداء لابراز القوه واقام سـرجون الاكدي ذلك وانشـا المسـلات والنصـب واسـتعراض الاسرى وفق ما بينته المنحوتات الاكديه، وقدم الاشوريون نماذج متقدمة في الاستعراضات لابراز القوة والهدف من ذلك هو نفسي لاثارة الخوف والرعب وهو تعبير دقيق لما يسـمى اليوم بالحرب الوقائية وقد اسـتعرض الملك الاشوري (سنحاريب) جيشه ضد قوات (عيلام) مما ادى الى استسلام ملكهم خوفا وماقام به (اشور بانيبال) من استعراضـات لاخافة عدوه من (الميدينين) شـرق العراق اذ قتل الميديون وجاءوا بملك موالي للاشـوريين تجنبا للحرب

وكذلك مافعله نبوخذ نصر ضد العيلاميين ايضا لاخافتهم ومنع زحفهم الى الاراضي العراقية .

ب - استعمال ستراتيجيه الرعب: وهي شكل اخر من اشكال الحرب النفسية تقوم على فكره اثارة الذعر والخوف ايضا وهو ماتبعه حكام وملوك بابل واشور ضد اعدائهم اذ استمرار الرعب لمده طويله وفق مايسمى بستراتيجية الردع اذ نقل المعركة الى داخل اراضي العدو وهو مايخيف المقاومة ويؤدي الى سقوط المدن الاخرى والسيطرة عليها عبر القتل والتخريب والتدمير وفق ماوضحته الجداريات المرسومة على جدران القصور والمنحوتات ورسم صور الاسرى مكبلين وخائفين وهذا كله له الاثر النفسي في الشعب ويؤدي الى تدمير معنوياتهم واستسلامهم .

اساليب الحرب النفسيه الاستراتيجه عند الاشوريين:

اعتمد الاشوريون على وسائل متنوعه في حربهم النفسية ضد الاعداء ابرزها :

١-حرب الشائعات: وهي اسلوب من اساليب الحرب النفسية سنوضحها لاحقا تعتمد على تهويل وتضخيم الامور اذ اعتمد الاشوريون على تضخيم قوة جيشهم وامكانيتهم وسطوتهم لاخافة الاعداء فقد ارسل الملك (شمش_ادد الاول) في احدى رسائله الى ولده في (ماري) قائلا له:

(اعط التعلميات الى الشخص الذي استوجر لك واجعله يذهب الى وسط البلاد ليجعل اهالي زلماقم يقولون سيدنا الملك هو شينا وسوف لن ينهبنا وعندما اتوجه لحملتي سوف يقومون بالثوره بوقت واحد).

ويبدو ان النهب كانت تقوم به القوات الاشورية وهذا بالتاكيد وفق ما اوضحنا هو هدف نفسي مخطط له مسبقا . وعليه فان تهويل عدد القتلى ونهب المدن او تدميرها قد اتضح في ضوء هذه الاشاعات.

وسرجون الثاني في احدى انتصاراته ترك جنودا من اسرى الاعداء يهربوا ليقصوا على اهاليهم هول ما شاهدوه من----------قوة العدو وما حل بهم من خراب ودمار فقال(تركتهم احرارا من اجل تمجيد نصر سيدي الاله اشور) .

٢-دعاية الفعل: وهي عبارة عن الدعاية المقترنة بافعال ووقائع لتثبيت الفعل الدعائي وهي جوهر استعمال استراتيجية الرعب بشكل عام والتي مازالت معتمدة في عمل الحرب النفسية والدعائية وان تغيرت الوسائل والاساليب وتطورت تقنياتها ، وعند الاشوريين كانت قد اتضحت عند مهاجمة المدن المعادية اذ اخذ الاسرى او قتلهم كما جاء في حوليات (اشور ناصر بال الثاني) بانه اسر الكثير من الرجال وقام بتعذيبهم وتعذيب ملوكهم بقول الملك (اسرحدون) :

(طرحت ملك سوهي ووضعت الاصفاد في يديه ورجليه وجلبته الى العاصمة اشور)

ولاستكمال تاثير هذا النوع من العمل الدعائي قام الملوك الاشوريون بتزيين قاعة العرش المخصصة بالمقابلات الرسمية والاحتفالات بالمنحوتات المتضمنة صور

وكذلك مافعله نبوخذ نصر ضد العيلاميين ايضا لاخافتهم ومنع زحفهم الى الاراضي العراقية .

ب - استعمال ستراتيجيه الرعب: وهي شكل اخر من اشكال الحرب النفسية تقوم على فكره اثارة الذعر والخوف ايضا وهو ماتبعه حكام وملوك بابل واشور ضد اعدائهم اذ استمرار الرعب لمده طويله وفق مايسمى بستراتيجية الردع اذ نقل المعركة الى داخل اراضي العدو وهو مايخيف المقاومة ويؤدي الى سقوط المدن الاخرى والسيطرة عليها عبر القتل والتخريب والتدمير وفق ماوضحته الجداريات المرسومة على جدران القصور والمنحوتات ورسم صور الاسرى مكبلين وخائفين وهذا كله له الاثر النفسي في الشعب ويؤدي الى تدمير معنوياتهم واستسلامهم .

اساليب الحرب النفسيه الاستراتيجه عند الاشوريين:

اعتمد الاشوريون على وسائل متنوعه في حربهم النفسية ضد الاعداء ابرزها :

١-حرب الشائعات: وهي اسلوب من اساليب الحرب النفسية سنوضحها لاحقا تعتمد على تهويل وتضخيم الامور اذ اعتمد الاشوريون على تضخيم قوة جيشهم وامكانيتهم وسطوتهم لاخافة الاعداء فقد ارسل الملك (شمش_ادد الاول) في احدى رسائله الى ولده في (ماري) قائلا له:

(اعط التعلميات الى الشخص الذي استوجر لك واجعله يذهب الى وسط البلاد ليجعل اهالي زلماقم يقولون سيدنا الملك هو شينا وسوف لن ينهبنا وعندما اتوجه لحملتي سوف يقومون بالثوره بوقت واحد).

ويبدو ان النهب كانت تقوم به القوات الاشورية وهذا بالتاكيد وفق ما اوضحنا هو هدف نفسي مخطط له مسبقا . وعليه فان تهويل عدد القتلى ونهب المدن او تدميرها قد اتضح في ضوء هذه الاشاعات.

وسرجون الثاني في احدى انتصاراته ترك جنودا من اسرى الاعداء يهربوا ليقصوا على اهاليهم هول ما شاهدوه من----------قوة العدو وما حل بهم من خراب ودمار فقال(تركتهم احرارا من اجل تمجيد نصر سيدي الاله اشور) .

٢-دعاية الفعل: وهي عبارة عن الدعاية المقترنة بافعال ووقائع لتثبيت الفعل الدعائي وهي جوهر استعمال استراتيجية الرعب بشكل عام والتي مازالت معتمدة في عمل الحرب النفسية والدعائية وان تغيرت الوسائل والاساليب وتطورت تقنياتها ، وعند الاشوريين كانت قد اتضحت عند مهاجمة المدن المعادية اذ اخذ الاسرى او قتلهم كما جاء في حوليات (اشور ناصر بال الثاني) بانه اسر الكثير من الرجال وقام بتعذيبهم وتعذيب ملوكهم بقول الملك (اسرحدون) :

(طرحت ملك سوهي ووضعت الاصفاد في يديه ورجليه وجلبته الى العاصمة اشور)

ولاستكمال تاثير هذا النوع من العمل الدعائي قام الملوك الاشوريون بتزيين قاعة العرش المخصصة بالمقابلات الرسمية والاحتفالات بالمنحوتات المتضمنة صور

الاسرى واساليب تعذيبهم لاخافة كل من يشاهدها كي يفكروا اكثر من مرة قبل القيام بالتمرد او الخروج على السيادة الاشورية .

وفي مصر قديماً :

اعتمد الكهنة اســـاليب العمليات النفســـية لبناء صـــورة الفرعون القوي المهاب والمرهوب من شعبه ومن الشعوب المجاورة اذ استخدموا اسلوب الاجتماعات التي كانوا يعقدونها في المعابد وســـط طقوس مؤثرة من الترانيم والبخور والشـــعارات والهتافات الهادرة للفرعون الاله وايضا في جو من الاضاءة ووسط المشاعر الدينية الفياضة والحماسية وخاصة في المناسبات الدينية والشعبية التي كانت الوسيلة الاكثر اعتمادا لتوصـــيل المعلومات ، ويمكن ان نذكر في هذا المجال "يوم الزينة "الذي احتشد فيه السحرة في جو مرعب لاخافة النبي موسى ومن معه ،ولمزيد من التاثير في الناس وتعميق تاثير صـــورة **الفرعون** فيهم رســـموا على جدران المعابد المعارك الحربية وعرضـــوا الانتصـــارات الكبرى وشـــرحوا الاصـــلاحات الكثيرة التي تثير الاعجاب وتلهب المشاعر وتضمن تاييدهم وخاصة عند حدوث انقلابات سياسية او ظهور ديانات جديدة ومثال على ذلك انه عندما انتشـــرت ديانة آتون الجديدة التي حلت محل ديانة آمون.. اراد أمنحتب الرابع ان يختار وســـيلة للاعلام والتاثير فقرر ان تكون عبادة الشـــمس مثلة تمثيلا محســـوســـا في صـــورة قرص تخرج منه اشـــعة ..ولكي يعمم النشـــر والتاثير ســـائر البلاد نقشـــت نصـــوص هذا الدين الجديد على واجهات المعابد وحوائطه كما عرفوا في الحروب اساليب الحيلة والخديعة والمفاجاة ، وفي قصة تحوتمس الثالث ولجوئه الى هذه الوسائل عندما استعصى عليه فتح يافا في فلســـطين ، خير دليل على اســـتخدام قدماء المصـــريين للحرب النفســـية ، وكذلك عندما امر **النبي موسى** عليه السلام قومه بدخول الارض المقدسة ، اذ اتضح تاثير الصورة للاعداء في نفوس اليهود فكانت صورة مفخمة مهولة الى حد انها قتلت فيهم روح الجراة والاقدام قال تعالى في ســـورة المائدة الاية ٢٢ " قالوا ياموســـى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون " .

ويتضح التاثير النفسي بصورة جلية في قصة النبي **سليمان** عليه السلام مع الملكة بلقيس ومن كلا الطرفين عندما ارسل اليها الهدهد بكتابه الذي جاء فيه "وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين "ســـورة النمل الاية ٣٠-٣١ وكان ان جمعت قوتها فاعلنوا قوتهم وباسهم "نحن اولوا قوة واولوا باس شديد " النمل ٣٢ ، **اما الاغريق** فقد عرفوا الحرب النفســـية والدعاية وكان عندهم رجال يدركون قيمة التاثير النفسي نذكر منهم تيرتيرس ومصادر اخرى تذكره باسم نيوبنوس الذي الهبت اشعاره السياسية والوطنية والحربية حماس اهالي اسبارطة فصمدوا في حروبهم كما كان السب والشتائم احد الوسائل التي استخدموها للتاثير على معنويات الخصم ففي عام ٨٠٠ ق.م وصـــف الشـــاعر اليوناني هوميروس القتال الذي دار بين الاغريق والبرواويين في احدى قصـــائده الزاخرة بالبطولة والتي ذم كل طرف فيها الطرف الاخر اذ صـــور ما كان يقوم به المحاربون في كلا الجيشـــين اللذين يقفان وجها لوجه يتبادلون الشـــتائم بمحاولات للتاثير في الروح المعنوية للطرف الاخر ،كما اســـتخدموا